

الدكتور أحمد عبد المنعم حاليو
الأستاذ المشارك للأدب القديم في
جامعة نزوى
a.munim@unizwa.edu.om

المنهج التعليمي وملامح التجديد في (تقريب الأذهان إلى علمي المعاني والبيان) للشيخ العلامة منصور الفارسي

الملخص:

يعد العلامة الشيخ منصور بن ناصر بن محمد الفارسي ت: ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م أحد أعلام الحضارة العمانية في العصر الحديث. وكان عايش الحضارة العربية الإسلامية وما تشتمل عليه من علوم مختلفة، وألّف مؤلفاته على ما كان عليه الناس من طرائق الأقدمين، إلا أنه ومن خلال مؤلفاته الخطية، وعلومه التي كان يتقنها ويعلمها لتلامذته، كان متقدم عصره، ومن السابقين الأولين من العلماء فيما اختطه من منهج تعليمي أَرْضِي عنه ممن سبقه مع ملامح بينة من التجديد الذي خالط معظم عطاءاته العلمية. ويعنى البحث بالمنهج التعليمي لدى الشيخ منصور بن ناصر الفارسي . وملامح التجديد عنده.

الكلمات المفتاحية: المنهج. التعليم. التجديد. البلاغة. التلقي.

المقدمة:

تتضمن هذه المقدمة حديثاً مقتضباً في أهمية البحث وضرورته ثم في إشكاليته وتساؤلاته على النحو الآتي:

أ- في أهمية البحث وضرورته:

لعل من المفيد أن نقف مع مخطوطة العلامة الشيخ منصور الفارسي ت ١٩٧٦م "تقريب الأذهان إلى علمي المعاني والبيان" من خلال تحقيقها الأول في جامعة نزوى^(١)، وفي اتجاه جديد لا يتعلق بمعطيات التحقيق من حواش وتوثيق وتخريج وفهرسة، وإنما من خلال سؤال ضروري في أولى الضرورات؛ وذلك بسبب تعلقه بهذا التراث الضخم مما تركه العلماء الأقدمون من مخطوطات تمتلئ بها المكتبات العامة والخاصة وفي كل بقاع الأرض؛ ماذا نحقق من هذا التراث الضخم؟

أجاب فريق: إنه لا حاجة لنشر مخطوط ما لم يكن فيه جدة وإبداع وابتكار، وقد سبق بعض المتقدمين، فنادى بهذا الرأي، وهو القاضي ابن العربي، إذ قال في صفة الكتاب الجيد "إما أن يخترع معنى أو يبتدع وصفاً ومبنى، وما سوى هذين الوجهين، فهو تسويد الورق والتحلي بحلية السرقة...."^(٢)

ومما لا شك فيه أن المخطوطات القديمة التي كتبها علماء القرن الثاني والثالث لها الصدارة، ولأن العلم كان في ريعان شبابه، وكان فيه طابع الجدة والابتكار، وكلما تأخر العصر كثر التكرار، وغلبت الشروح والمختصرات^(٣).

يقودنا هذا إلى استثناء في غاية الأهمية، إذ من المعروف أن تقديم القديم لقدمه وحسب^(٤) قد لا يجدي نفعاً مع معطيات تراثية لا حد لها تواجهك في كل بقعة من

(١) حققها الباحث حميد بن علي بن خلفان الشهومي عام ٢٠١٥م، إلا أنها لم تشر بعد، ووزعت مطبوعة لأول مرة أيام المؤتمر برعاية الشيخ ناصر الفارسي ابن الشيخ منصور رحمه الله.

(٢) الجبوري، يحيى وهيب: منهج البحث وتحقيق النصوص، ط٢، دار الغرب الإسلامي، تونس، ٢٠٠٨م، ص ١٥٨ وما بعدها.

(٣) الجبوري، يحيى وهيب: منهج البحث وتحقيق النصوص، مرجع سابق، الصفحة السابقة.

(٤) الدينوري، عبد الله بن مسلم بن قتيبة: الشعر والشعراء، تح: وشرح أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٢هـ، المقدمة، ص ٦٢، وثمة رأي ابن قتيبة النقدي في رفضه تقديم القديم لقدمه وحسب.

بقاع العروبة والإسلام، فكيف إذا كان المتأخر يحمل ميزات من المعرفة والعلم والجدّة والابتكار تضاهي عمل الأولين السابقين.

أقول: وكيف إذا كانت هذه البقعة شرقي الجزيرة العربية^(١) وكيف إذا كان القطر عُمان بما عُرف عن أبنائه من حب للعلم وجدّ في تحصيله واكتسابه، وموسوعية فياضة في نهله وتأليفه من لدن الخليل بن أحمد الفراهيدي إلى وقت الناس هذا، ولاسيما في علوم العربية والشريعة وعلوم أخرى.

فهذا بعض ما ينبئ عن أهمية البحث وضرورته وأنه لا مانع أن ندلف إلى مخطوطة مثل مخطوطة العلامة الفارسي: "تقريب الأذهان إلى علمي المعاني والبيان" لدراستها والعناية بها في أكثر من وجه تعليمي أو إبداعي، على نحو العنوان الذي تخيرناه، وهو دراسة المنهج التعليمي وملامح التجديد في هذه المخطوطة الغراء.

ومما يرفع من قدر هذا التوجه البحثي أن مخطوطة الشيخ الفارسي تعدّ من المخطوطات العمانية النادرة، وذلك لقلّة المؤلفات العمانية في هذا الجانب البلاغي في المدة من ١٢٨٧هـ إلى ١٣٩٧هـ أي قرابة قرن كامل على الرغم من النشاط الفكري الغزير، والازدهار العلمي الكبير في حركة التأليف في مختلف العلوم والفنون إبان تلك المدة^(٢)، وربما يُعزى ذلك إلى اهتمام العلماء العمانيين السابقين في جوانب أخرى، أو إلى الضياع الذي كان حليف كثير من المخطوطات العمانية^(٣). ولعل ما تحدثنا به من أهمية البحث وضرورته هياً لنا الانتقال إلى إشكاليته وتساؤلاته.

(١) درويش، أحمد: مدخل إلى دراسة الأدب في عُمان، دار الأسرة للطباعة والنشر، مصر، ١٩٩٢م، وثمة رأيه بأن عصر الضعف اللغوي في الوطن العربي قابله في عُمان عصر قوة اللغة عند النباهنة، وقوة النثر الأدبي عند اليعاربة، ص ١٢١ وما بعدها، ص ١٤٢.

(٢) يُنظر: الذهلي، حمد بن سالم: الجهود النحوية في عُمان، ط ١، مؤسسة الانتشار العربي، ٢٠٠٩، التمهيد، وتُنظر النسخة المحققة، جامعة نزوى، المقدمة.

(٣) يُنظر: الخليلي، سعيد بن خلفان بن أحمد ١٢٨٧هـ: سمط الجواهر الرفيع في علم البديع، تح: محمد بن يحيى بن سفيان الراشدي، ط ١، ذاكرة عُمان، مسقط، ٢٠١٥م، مقدمة التحقيق.

ب- في إشكالية البحث وتساؤلاته:

قد لا تطول وقفتنا هنا لأهمية الدخول في فحوى البحث ومضمونه، ولكن هذا لا يمنع من عرض سريع لأهم إشكالية تواجه الباحث والقارئ على حدٍ سواء، إذ من المعروف أن للبلاغة تاريخاً طويلاً، وهو حافل بما كان يتنافس فيه الأدباء والشعراء، ويتسابق فيه الخطباء والبلغاء، وكل يعبر عن مشاعره وخلجات صدره بما أوتي من لسان وفصاحة تنضح بالذوق الرفيع منذ العصر الجاهلي وعبر العصور التالية له، إلا أن البلاغة ومن خلال ما أشير إليه لم تعد مجرد أقوال يتفوه بها العظماء، وصور يفتن بها الأدباء، بل صارت علماً قام على تدوينه والعناية به، وما يشتمل عليه من أساليب متعددة وصور جمالية متنوعة أكابر العلماء وأصحاب الباع الكبير بالعربية.

ولكن ما إن تتأخر المرحلة الزمنية لما استنبطه العلماء من كلام العرب وتراثهم في الشعر والنثر، وما ألفوه في هذا المجال من توجهات البلاغة وأطيافها المتعددة حتى تغدو البلاغة قوالب جامدة لا تتغير ولا تتبدل، فتمطها واحد تقريباً منذ السكاكي ٦٢٦هـ في مؤلفه مفتاح العلوم^(١)، ثم من جاء بعده أمثال الخطيب القزويني ٧٣٩هـ وما استحدثوه من مختصرات وشروح^(٢)، وهكذا حتى في المؤلفات البلاغية الحديثة فالقاسم المشترك لما ذكرناه أو أعرضنا عن ذكره إنما هو نمطية واحدة تتكرر في كل مؤلف مهما امتد به العمر أو تأخر به الزمن.

والمراد بما ذكر هو هذه الاتباعية التي صارت عليها البلاغة العربية، إلا من ذاك التوجه إلى تغيير بعض الأمثلة والشواهد في تطبيقاتها العامة، ألا يوافق ذلك إشكالية وتساؤلات عدة؟ ولاسيما ما يطرحه العنوان من أمر المنهج التعليمي، وملامح التجديد، فهل من منهج تعليمي اختص به العلامة الفارسي إذا كان العلم الذي يدرسه قد غدا تقليداً وحسب، وأين يمكن أن نقع على ملامح من التجديد

(١) ينظر: السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي: مفتاح العلوم، ضبطه وكتبه هوامشه نعيم زرزور، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٧٠هـ-١٩٨٧م.

(٢) ينظر: القزويني، الخطيب جلال الدين أبو عبد الله محمد بن قاضي القضاة: الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبدیع، مختصر تلخيص المفتاح، دار الجيل، بيروت.

فيما هو مُعاد ومكرر؟، فهذا ما سيسعى البحث للإجابة عنه، فيقف على المنهج التعليمي لتأليف الشيخ، وإن كثر فيه التقليد، فمثل هذا التقليد له أصوله المحيطة به والمتعلقة فيه، مما شاكل فيه وقارب نظريات تعليمية حديثة، وكذلك ملامح التجديد لا تقل شأنًا عن المنهج المتبع، وهو مما سنتعرف عليه تباعاً من خلال العناوين الجديدة الآتية:

مادة البحث:

أولاً: بين يدي المؤلف والمخطوطة:

سنقف من خلال هذا العنوان على أهم النقاط الخاصة بالشيخ الفارسي من الوجهة التعليمية قدر الإمكان، ولاسيما أن مثل هذا التوجه التعليمي سيترك أثره لا محالة في مؤلفاته، وخاصة في مخطوطته (تقريب الأذهان إلى علمي المعاني والبيان)، إذ كانت على ما بدا من إتمام الشيخ لكتابتها بأخر عمره، وهذا يعني أنها عصارة الفكر والعلم الذي وقف عليه متعلماً وعالمًا ومعلمًا.

فالمؤلف هو الشيخ العلامة القاضي منصور بن ناصر بن محمد بن سيف الفارسي الخروصي.

وبعد أن أصبح ذا مكانة علمية سامقة في عهد الإمام الخليلي، افتتح مدرستين توافد عليها طلاب العلم، الأولى في موطنه فنجاء، والأخرى في عاصمة الإمامة نزوى، وتخرج من هاتين المدرستين علماء وأدباء وقضاة. فلا غرو مع هذه الإشارة إلى وضع المؤلف العلمي أن يسأله بعض طلبته أن يضع لهم رسالة في علمي المعاني والبيان، مما ذكره الشيخ العلامة في مقدمة كتابه، فقال: (فقد سألتني بعض الإخوان من الطلبة أن أضع لهم رسالة في علمي المعاني والبيان، واخترع علي أن تكون بعبارة واضحة البيان، وسهلة المأخذ قريبة المعاني خالية من صعوبة المسلك، يفهمها ركيك^(١) الفهم، ويتناولها الفتى، فأعرضت إعراض من لم يتأهل للمراد، وتوقفت توقف من لم يكن من أهل ذلك. ثم طلب إلي ثانية، فصرت بين إقدام

(١) الركيك، هنا بمعنى القليل، ورجل ركيك العلم: قليله. لسان العرب، مادة (ركك).

وإحجام، فكَرَّ في الطلب أخرى، فرأيت إجابته لمراده، فأجبتة لما طلب، فشمرت عن مساعد الجد والاجتهاد...^(١).

فهذه نبذة عن المخطوطة، وبدء العمل بها وهي - كما لا يخفى - غنية بدلالاتها مشيرة بمعانيها وألفاظها إلى ما نحن بصدده من أنه كان للشيخ منهج في تأليف هذا المخطوط ورأي في تجديد ما يمكن تجديده من هذا العلم، قوامه وضوح البيان، وسهولة الوصول للمعنى، وقربه من الأذهان. ولم يكن انشغاله إبان تلك الفترة بأحوال الناس وأمور العباد^(٢)، ليمنعه مما أخذ به من منهج تعليمي وتجديد في هذا العلم مما سنقف عليه:

ثانياً: المنهج التعليمي في مخطوطة تقريب الأذهان:

يبدو أن الشيخ الفارسي، وإن عايش معطيات الحضارة العربية الإسلامية وما تشتمل عليه من علوم مختلفة سار الناس على تلقيها وتدريسها على طرائق الأقدمين دونما تجديد يذكر، أو هو قليل يشار إليه بقوة، إلا أنه - والحق يقال - ومن خلال النموذج الذي بين أيدينا لتأليفه وتدرسه يعد من متقدمي عصره، وممن قارب غاية مرضية من المنهج التعليمي التي اختطه أو رضى عنه ممن سبقه مع ملامح بيّنة من التجديد الذي خالط معظم عطاءاته العلمية، ويمكننا ملاحظة ذلك من خلال الأساسيات التعليمية الآتية:

أ- التماسه السهولة واليسر: ووضح ذلك من سيمياء العنوان الذي تخيره في كتابه في البلاغة (تقريب الأذهان إلى علمي المعاني والبيان) وكان وضعه المؤلف لشدة هذا العلم مهم قل فهمه أو كثر، فكل يأخذ بنصيبه، وهنا حومة الوغى، فالمبتدئ صنو المتقدم في الفهم والوصول إلى معطيات هذا العلم، وأما أن يجد المبتدئ حاجته ويخرج المتقدم حاوي الوفاض صفر اليدين فهذا مما لا نجده في هذا التأليف الجليل، وهو قوله عن عبارته: "سهلة المأخذ، قريبة المعنى، خالية

(١) المخطوطة المحققة، جامعة نزوى، ص ٢٨.

(٢) تنظر المخطوطة المحققة، ص ٣٩.

من صعوبات المسلك، يفهمها ركيك الفهم، ويتناولها الفتى^(١). فهذه أساسية من أساسيات التعليم والتدريس.

ب- وثمة أساسية ثانية يمكننا إدراكها للوهلة الأولى وهي ملاءمة العنوان للموضوع المطروق، فالتأليف في الاتجاه البلاغي كاملاً والعنوان كذلك: "تقريب الأذهان إلى علمي المعاني والبيان" على أن العنوان، هنا، فيه مسحة من الاختصار والتنغيم الموسيقي، إذ لم يقتصر الكتاب على هذين العلمين، فقد أتبعهما بعلم البديع وهو الفن الثالث من فنون البلاغة^(٢)، وكان تناول في هذا الفن المحسنات المعنوية والمحسنات اللفظية.

ج- ومن أساسيات التعليم كذلك ألا ترى في أي مؤلف أو كتاب استطراداً يخل بالكتاب ويفقده قيمته، فمثله كالجسم غير المتوازن في قوامه واعتداله، كأن يكون البطن مترهلاً مندحاً وسواه ضعيفاً، ويلحق بهذا التوازن بالأقسام، إنه وإن طالت بعض الأقسام عن بعضها الآخر كما في مخطوطة الشيخ، حيث اتسع القسم المخصص لعلم المعاني، فهذا ناشئ عن طبيعة هذا العلم، وكثرة مباحثه التي تفوق في معطياتها وجزئياتها المتنوعة علم البيان وعلم البديع، فالشيخ بعد أن وقف بتأن وتؤدة على الفصاحة والبلاغة والقول فيها في حدود أربع عشرة صفحة، انتقل إلى علم المعاني بما يزيد عن مئة صفحة، ثم عاد إلى علم البيان والبديع بحدود خمسين صفحة لكل منهما، إنها ضرورة بحثية محضة نابعة من معطيات علم المعاني وتنوع أبحاثه^(٣).

د- وقد يكون التدرج في التعليم^(٤) بمعطياته المتعددة أهم ما يسم منهج الشيخ، فها هو ذا ينتقل من العام إلى الخاص، ومن الكل إلى الجزء، ومن الجزء إلى الكل، ومن السهل إلى الصعب، فلو أننا تصفحنا المخطوطة المحققة بدءاً من المقدمة التي

(١) المخطوطة المحققة، جامعة نزوى، ص ٢٨.

(٢) المخطوطة المحققة، جامعة نزوى، ص ٢٤٦، ٢٣٥.

(٣) المخطوطة المحققة، المقدمة، ثبت المحتويات.

(٤) مصاروة، نادر: طرائق تدريس اللغة العربية في ضوء التربية الحديثة، مجلة جامعة إلكترونية، أكاديمية القاسمي، فلسطين، العدد ٧، ص ٣٠٥.

أرادها أن تكون مقدمة علم لا مقدمة كتاب فحسب، لوجدنا مثل هذا التوجه، يقول: "والمقصود بها -أي المقدمة- هنا الفصاحة والبلاغة وانحصار البلاغة في علم المعاني وعلم البيان وعلم البديع، والارتباط هنا نفس المطلوب من تأليف هذا الكتاب، فإن المقصود بالذات من تأليفه العلوم الثلاثة لا المقدمة فقط..."^(١).

ومن باب التدرج من العام إلى الخاص ما وقف الشيخ عنده من القول في الفصاحة والبلاغة، وما هو ما قدم به للكتاب -كما أسلفنا- "لأنها كالأساس في الفنون الثلاثة، فذكرها أولاً كاللازم، فإن مباحث الفصاحة والبلاغة هي في سلامة المفرد والكلام والمتكلم من النقد الخارج عن دائرتهما"^(٢) ومرة أخرى يدلّف الشيخ إلى هذا التقديم للعام على الخاص فيقول وقد قدم الفصاحة على البلاغة: "لأنها أعم من البلاغة لفظاً ومعنى، فكل فصيح بليغ، وليس كل بليغ فصيحاً، ثم إن الفصاحة تطلق على الكلمة المفردة وعلى الكلام المركب وعلى المتكلم، فيقال كلمة فصيحة، وكلام فصيح، ومتكلم فصيح..."^(٣).

ومن أمثلة ذلك مما ورد في أثناء الكتاب حديثه عن المجاز وانقسامه، يقول في القسمة، وقد قدّم الحقيقة على المجاز، وأطرافه عامة على ما خص به طرفاً دون طرف: "أعلم أن المجاز يقسم باعتبار طرفيه أربعة أقسام، وطرفاه المسند والمسند إليه، الأول أن يكون طرفاه حقيقتين، الثاني أن يكونا مجازين، الثالث أن يكون المسند إليه مجازاً والرابع أن يكون المسند مجازاً"^(٤).

وفي مجال التدرج التعليمي انتقال الشيخ من الكل إلى الجزء، وذلك في كل ناحية من نواحي كتابه، فنراه يخلص من الفصاحة والبلاغة إلى علم المعاني وهو الأعم والأشمل من علوم البلاغة ثم إلى علم البيان وأخيراً إلى علم البديع^(٥)، وهو في كل ذلك يحقق قاعدة الانتقال والتدرج من الكل إلى الجزء^(٦)، ففي علم المعاني

(١) المخطوطة المحققة، ص ٤٠.

(٢) المخطوطة المحققة، ص ٤١.

(٣) المخطوطة المحققة، ص ٤٢.

(٤) المخطوطة المحققة، ص ٦٦.

(٥) المخطوطة المحققة، ص ٥٤، ١٩٣، ٢٤٦.

(٦) قد يكون التدرج أيضاً من الجزئي إلى الكلي، وليس من الضروري أن يكون من الكل إلى الجزء، ينظر طرائق تدريس

بدأ بأحوال الإسناد الخبري عامة ثم أحوال المسند إليه، فأحوال المسند، فأحوال متعلقات الفعل^(١).

وأما تدرج الشيخ من السهل إلى الصعب، فإنك تلمسه في كل جزئيات الكتاب، فعلم البيان مثلاً بدأه بالتشبيه، وهو الأسهل من معطيات علم البيان من مجاز واستعارة وكناية^(٢)، قولاً واحداً، وهكذا دخل في تعريفات التشبيه وأدواته وأركانها، وكل ذلك مصحوب بالشواهد الدراسية والقرآنية ونحو ذلك.

هـ- إن ما سبق الحديث عنه يقود إلى أساسية جديدة في التعليم، لا بد أن الشيخ قام عليها أصالة، فإن كان في ذلك شيء من أن يفتن الشيخ لذلك أو لا يفتن، فإن قواعد التدرج في التعليم مما وقفنا عليه آنفاً تقود من غير شك إلى هذه الأساسية، ونعني بها سهولة توصيل المعلومة، وتحقيق مهارة التواصل مع الآخرين، فكيف إذا أضيف إلى ذلك تشبيهاته التي تأتي تباعاً في كل صفحات المخطوطة، وهي تشبيهات تقوى بها اللغة ويميل المخاطب من خلالها إلى الفهم وتأكيد المعنى وغرسه في النفس، ومثال ذلك ما ذكره في باب أحوال الإسناد الخبري، فتراه يقول: "تشبيه اعلم أن المخبر يلزم أن يقصده بخبره إفادة المخاطب لأحد أمرين لا ثالث لهما"^(٣) فكلمة (اعلم)، هنا، لا يُراد بها فعل الأمر القسري، وإنما المراد أوسع من ذلك أي ليعلم، وليكن منك علم بهذا الأمر وحدوده، ونحو هذا قوله فصل في انقسام الإسناد: (اعلم أن الإسناد ينقسم إلى حقيقة عقلية وإلى مجاز عقلي...^(٤)) وقد يأتي التشبيه مجرداً من الفعل اعلم، كقوله: "تشبيه: المجاز العقلي يجري إسناده في الإضافة والإيقاع، كما يجري في الفعل للملابسة إذ لا بد من اعتبارها، مثاله في الإضافة أعجبنى إنبات الربيع البقل، وأعجبنى جري النهر"^(٥) والمهم في ذلك هذه العلائق التي أقامها المؤلف مع المتلقي، وحفاظه بقوة على

اللغة العربية في ضوء التربية الحديثة، مرجع سابق، ص ٣٠٦.

(١) المخطوطة المحققة، ص ٥٤، ١٢٩.

(٢) المخطوطة المحققة، ص ١٩٤.

(٣) المخطوطة المحققة، ص ٥٤.

(٤) المخطوطة المحققة، ص ٦١، ٦٣.

(٥) المخطوطة المحققة، ص ٦٤، وانظر من هذا القبيل من وجوه إيصال المعلومة بسهولة: ص ٧٢، ٧٣، ١٩٧، ١٩٨.

إيصال المعلومة إليه بشكل واضح جيد جلي محبب.

و- ولعل الأساس الرئيس فيما سبق كله (اللغة) بكل ما تعنيه هذه الكلمة من آلية التواصل بين المرسل والمتلقي، وكذلك الرسالة بما تحمله من تأثيرات المرسل لتصبح أهلاً للقبول والتلقي عند السامع والمتلقي، فالمراد من ذلك واضح بين، وهو استعمال اللغة المألوفة، والمفهومة الواضحة، وهو ما سنراه على أحسنه وتمامه في استعمال الشيخ اللغة التي سار عليها.

ومما يمكن الإشارة إليه في هذا المجال من أهمية اللغة وضرورتها في العملية التعليمية أن اللغة تمثل جزءاً أساسياً في أي مجتمع، فهي إذن نوع من المؤلف يتم اكتسابها كأى مادة أخرى في حياتنا اليومية، وهذا المفهوم كان سائداً في مطلع هذا القرن بحيث ينظر إلى اللغة على أنها مجموعة من الحقائق، على المعلم أن يلتقنها للمتعلم تلقيناً، وأن يحفظها الأخير عن ظهر غيب، وبقدر هذا الحفظ يعد متمكناً من اللغة^(١).

وتلعب الممارسة والتكرار دوراً أساسياً في اكتساب المهارة اللغوية أو العلمية أياً كانت، فإذا كان الطالب يتعلم قاعدة نحوية معينة، فإنه لا يكفي أن يحفظها ويعيدها تكراراً ألياً بل لا بد من ممارستها في مواقف الحياة بصورة طبيعية^(٢).

ولو أننا مضيئنا نظرنا إلى علم البلاغة بفروعه المختلفة النظرة المشار إليها إلى اللغة، ولا مانع من ذلك قطعاً، بل إن الطالب الناشئ على تعلم العربية نحواً وصرفاً، لغة وأدباً لن يضيره أبداً أن يتلقف علوم البلاغة بطرائق تعلم العربية نفسها، بل هو أدعى لقبولها وثباتها عنده، ولاسيما إذا نظر إليها عادة من العادات السلوكية، وأمكنه اكتسابها بالممارسة والتكرار والعودة إليها حيناً بعد حين.

وفي نظرة شاملة للمخطوطة من أولها إلى آخرها نرى هذا التوجه العلمي الذي لا يفرق بين أن يكسب الطالب اللغة عامة أو يتمرس في فرع من فروعها، وربما زاد من سرعة اكتسابه علوم البلاغة أنه في الأصل مكتسب للغة، وهنا، وفي أجزاء

(١) طرائق تدريس اللغة العربية في ضوء التربية الحديثة، مرجع سابق، ص ٢٠٧.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٠٨.

المخطوطة كاملة التوجه لاكتساب هذا العلم بكل ما يمثله من فنون وعلوم.

وفي التدليل على ما ذهبنا إليه من أن الشيخ أفاد من اللغة وطوعها لما يبتغيه من تأليف بلاغي يفيد فيه الطالب المملى عليه أو المتلقي فيما بعد، أو السامع أيًا كان شأنه، فيمكننا أن نفتح صفحات المخطوطة من غير ما اختيار أو انتقاء، وعلى أي صفحة نقع فإننا نجد تلك الألفة والموافقة بين اللغة والبلاغة، فكأنهما صهرا من بوتقة واحدة، فاللغة هي البلاغة، والبلاغة بعلومها مجتمعة أو متفرقة هي اللغة.

ومن الأمثلة لما ذكرناه دونما حصر - كما مرت الإشارة - أن نقرأ في إحدى صفحات المخطوط قوله: "ومن خلاف مقتضى الظاهر التعبير بالمفرد عن المثني، والتعبير بالمثني عن المجموع، والتعبير بالمفرد عن المجموع... فمثال الأول قول الشاعر (الوافر):

فرجّي الخير وانتظري إياي إذا ما القارظ العنزى أبا

فعبّر بالقارظ، وهما قارضان، وقوله جل وعلا: ﴿والله ورسوله أحق أن يرضوه﴾ (التوبة: ٦٢)، وأصله أن يرضوهما، ومثال الثاني قوله تعالى: ﴿ثم ارجع البصر كرتين﴾ (الملك: ٤)، أي كرات، وقول الملبى: "لبيك وسعديك، أي تلبية بعد تلبية، وإسعاد بعد إسعاد، ومثال الثالث: وذييانة قد ذلت بأقدامها النعل، وأراد به النعال^(١).

ولو أننا فتحنا المخطوطة مرة ثانية لوجدنا، وتحت عنوان (المحسنات اللفظية) باب: (هذا الباب يتضمن أنواع البديع اللفظي، وسنذكرها مرتبة إن شاء الله تعالى، فصل: من أنواع البديع اللفظي يسمى الجناس والمجانسة والتجنيس، وهو ثمانية أنواع، النوع الأول: الجناس التام، وهو أن يتفق اللفظان في أعداد الحروف وفي أنواعها وتوفيقيها^(٢)، وفي هيئتها وهذا النوع أقسام: القسم الأول، ويسمى المماثل، وهو أن تكون الكلمات من نوع واحد بأن تكونا اسمين أو فعلين أو حرفين، فالاسمان قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ

(١) المخطوطة المحققة، ص ١٠٢، ١٠٤.

(٢) لعله قصد ترتيبها. (المحقق).

سَاعَةً كَذَلِكَ كَأَنوَأُ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ (الروم/٥٥)، وقوله تعالى: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ
يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ﴾ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾
(النور/٤٣، ٤٤)، وقوله صلى الله عليه وسلم: "من أمر بمعروف فليكن أمره
بمعروف" ^(١): (....)

ز- ويتبع أساسية اللغة المألوفة والمفهومة الواضحة شرح المفردات الغريبة
وتوضيحها، وهو مما يساعد المتلقي على الفهم، وقد حقق الشيخ هذا العنصر
التعليمي فيما ذهب إليه من تأليف، والأمثلة كثيرة، وقد بدأها الشيخ منذ اللحظة
الأولى للتأليف، ها هو ذا يبين عن ضبط كلمة المقدمة وما تستعمل له، فيقول:
"أعلم أن لفظ المقدمة يجوز في الدال الفتح والكسر والمقدمة على قسمين: مقدمة
علم، ومقدمة كتاب، فالأول اسم للمعاني المقصودة من العلم المراد، والثاني اسم
للألفاظ الموضوعية في ذلك الكتاب" ^(٢).

على أن الشروح لدى الشيخ لم تقتصر على الكلمات، بل تناولت المعاني في الشعر
وفي الرجز أيضاً، ونمثل لذلك بما اشترطه للفظ ليكون فصيحاً، فقال: "والثاني:
أن يكون سالماً من الغرابة، والمراد بالغرابة كون الكلمة وحشية خفية المعنى غير
مأنوسة في لسان العرب، كقول العجاج (الرجز):

ومقلة وحاجبا مزججا وفاحماً ومرسناً مسرجاً ^(٣)

فالمرسن (الأنف) والمسرج (السيف السروجي) المنسوب إلى سروج وهو حداد
يعمل السيوف، وإليه تنسب السروج السروجية، فالغرابة في كلمة مسرجا؛ لأنه
لا يفهم ما مراده بتشبيه الأنف هل هو بالسيف السروجي في الدقة والاستواء أو
في الصفاء واللمعان بالسرج؟ وتحقيق الغرابة فيه أن النسبة إلى الشيء لا تفيد
التشبيه به" ^(٤)

(١) أخرجه الديلمي عن عبد الله بن عمرو. الفردوس بمأثر الخطاب ٣/٥٨٥. (المحقق).

(٢) المخطوطة المحققة، ص ٤٠.

(٣) العجاج، ديوانه، تحقيق الدكتور عبد الحفيظ السطلي، مكتبة أطلس، دمشق، ١٩٧١م، ص ٣٤.

(٤) المخطوطة المحققة، ص ٤٢.

وقد يأتي الشيخ بالمعنى يشرحه بما يوافق علم البلاغة أكثر من التفاته إلى اللغة وإن وافق إحدى وجوهها، ومثال ذلك شرحه البديع، قال: (البديع في اللغة: الغريب، وفي الاصطلاح هو الغريب المستحسن لا مطلق الغريب)^(١)، وقد تناول المحقق الكلمة من وجهة لغوية محضة، فقال في حاشيته: "بدع: البدع: إحداث شيء لم يكن له من قبل خلق ولا ذكر ولا معرفة، والله بديع السماوات والأرض، أي ابتدعهما ولم يكونا من قبل ذلك شيئاً"^(٢). وفي معرض شرحه لألفاظ من القرآن الكريم قوله: (وأما (أنى) فإنها تكون تارة بمعنى كيف ويجب أن يليها الفعل نحو: ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ (البقرة/٢٢٣) أي كيف شئتم على أي حالة من الحالات، إذا كان المأتي واجداً، وتارة تكون بمعنى من أين، نحو: ﴿قَالَ يَمْرَيْمُ أَنَّى لِكَ هَذَا﴾ (آل عمران/٣٧)، أي هذا الرزق الذي يأتيك كل يوم وبعضه في غير أوانه^(٣).

ح- ومن أساسيات التعليم أيضاً، ومن منهجه المصيب الذي يحقق التكاملية العلمية رابطاً بين المادة النظرية والتطبيقية تنوع أساليب الاستشهاد للمادة النظرية ما بين قرآن كريم، وحديث نبوي شريف، وأمثال وكلام عربي أصيل، وأشعار وأرجاز على مر الأزمنة والعصور العربية.

فمن شواهد القرآنية ما مرّ بنا ذكره في أكثر من موضع، ومنه أيضاً في معرض الحديث عن خلاف مقتضى الظاهر في الاستعمال العربي لضرورة ما ظاهرة أو خفية (قوله تعالى عن قول الكفار: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ (البقرة/٢٧٥)، وأصله إنما الربا مثل البيع، فافهم، أرادوا تشبيه الربا بالبيع، لا البيع بالربا، وإنما قلبوا حكم دعواهم في إباحته وتحليله زيادة في غلوهم وكفرهم بالإفراط في مجاهرتهم حتى جعلوه الأصل لمساواته للبيع)^(٤)، ويتابع الشيخ استشهاده التوضيحية من القرآن الكريم فيأتي (بقوله تعالى رداً على الكافرين

(١) المخطوطة المحققة، ص ٢٤٧.

(٢) ينظر: كتاب العين بدع ١/١٢١. (المحقق).

(٣) المخطوطة المحققة، ص ١٤٥.

(٤) المخطوطة المحققة، ص ١٠٢.

وتبكيئنا لزعمهم ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ (البقرة/ ٢٧٥) ^(١)، ويقول أيضاً وقد خرج إلى بسط المعتقد، وعرض الرأي الإسلامي كاملاً في الربا المحرمة، يقول: (ولم يتوعد سبحانه وتعالى أحداً بمثل ما توعد به آكلي الربا بقوله: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (البقرة/ ٢٧٩) ^(٢)).

وهكذا تنوعت الشواهد القرآنية وتعددت في كل مبحث من مباحث الكتاب حتى بلغ ما استشهد به الشيخ رحمه الله تعالى (٣٥٢) ثلاثمئة واثنين وخمسين شاهداً قرآنياً.

وأما الحديث النبوي فلم يقصر باع الشيخ عن الاستشهاد به والتدليل به على القاعدة والفكرة تطبيقاً وإيضاحاً وتفسيراً، والشواهد كذلك تملأ الكتاب، وللاستئناس بذلك نورد موضعاً أو موضعين من هذا الاستشهاد، ففي حديث الشيخ عن التوشيع من مقامات الإطناب، قول: (التوشيع لغة: القطن المندوف أي المجرود، وفي الاصطلاح: أن يأتي المتكلم بلفظ مثنى يفسره بعده باسمين ثانيهما معطوف على الأول كقوله صلى الله عليه وسلم: "يكبر ابن آدم ويكبر معه خصلتان: الحرص وطول الأمل" ^(٣)، وقوله: "اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر" ^(٤)، وقوله: "للمرأة ستران القبر والزوج" ^(٥) ^(٦)) وعلى هذا النحو في أكثر مباحث الكتاب الاستشهاد بالحديث النبوي حتى بلغ ذلك (٩٣) استشهاداً نبوياً كريماً.

وفي مجال الشعر والاستشهاد على المعطيات البلاغية المختلفة يمكننا أن نذكر

(١) المخطوطة المحققة، الموضع السابق.

(٢) المخطوطة المحققة، ص ١٠٢.

(٣) أخرجه البخاري عن أنس بن مالك في باب الرقاق، والحديث في الصحيح بلفظ: يكبر ابن آدم ويكبر معه اثنان: حب المال وطول العمر، ينظر صحيح البخاري ٩٠/٨، المحقق ١٨٣.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه، والكتاب من تحقيق وتعليق أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض، ط ٢، طبع مصر، البابي الحلبي، ١٣٩٥ هـ، ج ٦٠٩، ٢، وتنظر المخطوطة المحققة، ص ١٨٣.

(٥) أخرجه الطبراني عن ابن عباس، وجاء الحديث في معجمه بلفظ آخر الزوج والقبر، المعجم الصغير، تحقيق محمد شكور محمود، ط ١، المكتب الإسلامي، دار عمار، بيروت ١٤٠٥ هـ، ٢٨٠/٢، وتنظر المخطوطة المحققة، ص ١٨٣.

(٦) المخطوطة المحققة، ص ١٨٣.

ببعض الشواهد وكيف جاء بها، على أنه يحسن التذكير أولاً أن عدد استشهادات الشيخ بأبيات الشعر والرجز بلغت (٢٧٥) خمساً وسبعين ومئتي شاهد شعري، من غير أنصاف الأبيات، وجاء الشعراء المستشهد بهم من عصور الأدب العربي كله، من نحو زهير بن أبي سلمى ص٢٩٦، وبشر بن أبي خازم ص١٠٢، والنابغة الذبياني ص٢٨٨، وعلقمة بن عبدة ص٩٨، وأبي الطمجان القيني ص٨٣، وغيرهم من الجاهليين، ومن الإسلاميين نذكر: الخنساء ص٢١٥، والعرجي ص٧٦، ٢٩١، وذو الرمة ص١٩٠، وقيس بن دريح ص٢٨٠، وغيرهم، ومن العباسيين وسائر العصور الإسلامية نذكر ابن خفاجة (الأندلسي) ص٢١٨، والمنتبي ص٤٤، ١٧٩، ٢١٦، ٢٨٦، وابن المعتز ص٢٠٧، ٢٣٢، وأبا فراس ص٢٠٤، وأبا العلاء المعري ص٨٩، وبشار بن برد ص٢١٩، وأبا العتاهية ص٢٧٤، وابن الرومي ص٣٠٠، وأبا مسلم البهلائي (العماني) ص٢٨٣، وسوى ذلك كثير، وإنما ذكرت ما ذكرته تمثيلاً لا تأصيلاً.

وأما كيف كان الشيخ يورد الشاهد الشعري مستعيناً به على الشرح البلاغي فنورد النص الآتي في مقام حديث الشيخ عن أنواع من البديع المعنوي ونعني به (مراعاة النظر)، يقول: (ويسمى التناسب والتوفيق والائتلاف والمؤاخاة، وضابطه، أن تجمع أمراً في كلام وتذكر ما يناسب لا بالتضاد.

أثافي سفعاً في معرّس مرجل ونؤياً كجذم الحوض لم يتلّم
فلما عرفت الدار قلت لربعها ألا عم صباحاً أيها الربع واسلم

وهذا النوع أصناف: الصنف الأول أن يكون التناسب في اللفظ والمعنى، كقول زهير (الطويل):

فإنه أتى في البيت الأول بألفاظ غريبة غير مستعملة، ثم أتى في البيت الثاني بألفاظ معروفة مستعملة..^(١)

أما وقد أتينا على المنهج التعليمي للعلامة الشيخ منصور الفارسي غير

(١) المخطوطة المحققة، ص٢٥٤.

مستأنسين لحديث من غير هذا المنهج ودلالاته المختلفة، من نحو ملاءمة العنوان للموضوع، وعدم الاستطراد المخل، ومحاولة التوازن بالأقسام من غير ما تفرضه طبيعة الموضوع، ومن نحو التدرج في التعليم من العام إلى الخاص، ومن الكل إلى الجزء، ومن السهل إلى الصعب، ومن نحو سهولة توصيل المعلومة واستعمال اللغة المألوفة والمفهومة والواضحة، وما تبع هذا من شرح المفردات الغريبة وتوضيحها، وما حققه الشيخ من عناصر الاتصال والتي توازي المرسل والمرسل إليه والرسالة الجيدة، والأداة في ذلك كله اللغة، ناهيك بما وقفنا عنده من تنوع أساليب الشيخ ولا سيما في استشهاده على المادة النظرية في الكتاب بالمادة التطبيقية كاستشهاده بآيات القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، والشعر العربي في العصور العربية المختلفة بدءاً من الجاهلية إلى أيام الشيخ نفسه. فهذا ركن البحث ومادته الأصلية، وأما ركنه الثاني والمزعم الوقوف عليه أننا سنلتقط من هذا المنهج ومن سواه مما كتبه الشيخ وأبدع به ملامح التجديد، إذ لم يكن الشيخ على ما بيناه مجرد ناقل أو متبع، بل كان نبراساً في منهجه التعليمي ومحاولته المجيء بالجديد على ما سنأتي عليه إن شاء الله تعالى في الصفحات الآتية:

ثالثاً: ملامح التجديد في مخطوطة تقريب الأذهان:

ليس المراد بملامح التجديد في هذه المخطوطة أننا نطلب من الشيخ أن يكون مجدداً لعلم البلاغة، وهو العلم الذي أخذ صورة تقليدية بعدما أثمر كل الإثمار على يد عبدالقاهر الجرجاني ومن سبقه من النقاد والبلاغيين العرب، ولكننا نحاول في هذه العجالة تبين ما توجه إليه الشيخ من تجديد وما احتواه عمله العلمي من تفتح باتجاه المفيد والجديد مما يمكن استثماره لدى الواردين على هذا العلم وتمميته؛ ليصبح صرحاً علمياً تفتح مادته النظرية وتطبيقاته العملية بالخير والعطاء.

أ- فمن ذلك أنك تلاحظ في المخطوطة خطتها وبرنامجهما وكثير من تطبيقاتها العملية حيازة الشيخ على معطيات علمية حديثة، فإذا كان بلوم وزملاؤه قدموا في أواخر القرن الماضي تصنيفات مهمة للأهداف التعليمية السلوكية في المجالات

المعرفية والوجدانية والمهارية^(١)، على أنهم أرادوا بالمجال المعرفي: الأهداف التي تتعلق بالمعرفة والمهارات والقدرات العقلية، إن الشيخ وإن لم يعين أهدافاً أو يحدد على طرائق المحدثين، ولكنك واجد ذلك من خلال المعارف التي يعج بها الكتاب، ونحو ذلك غرس المهارات بما يثيره من حوارات في كل مبحث من مباحثه، ومن خلال التنبيهات المتعددة التي لا تغادر أي صفحة من صفحاته فكأنه يريد بقرائه ومتلقيه أن يحصل على هذه المهارة العلمية ويتقنها أيما إتقان.

ب- وأما عن المجال الوجداني فحدث ولا حرج وقد مر بنا آنفاً كيف أن الشيخ كان في طرحة العلمي لقضية جريان الكلام على خلاف مقتضى الظاهر محتاجاً لشاهد واحد مثلاً من القرآن الكريم، وهو قوله تعالى حكاية عن قول الكفار ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلَ الرِّبَا﴾ (البقرة: ٢٧٥) وأصله إنما الربا مثل البيع فإذا بالشيخ يشبع الموضوع دراسة وعلماً وشواهد جديدة تشع منها لغة العاطفة الصادقة والأحاسيس المتقدمة لحمل القارئ على فهم أحكام الربا كاملة والأخذ بها بعيداً عن الوقوع ضمن دائرة الذين حاربهم الله لتوغلهم في مثل هذا الأمر وإعراضهم عن تنفيذه، وهو قوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (البقرة: ٢٧٩)^(٢) ونحو ذلك لما عرض لقضية التوشيع من باب الإطناب واستشهد له بحديث نبوي وهو قوله عليه الصلاة والسلام: "يكبر ابن آدم ويكبر معه خصلتان: الحرص وطول الأمل"^(٣) أردفه بستة أحاديث وبعضها ما أسنده إلى راويه كابن عباس وبعضها الآخر ذكر تخريجه عن الترمذي والطبراني وكان يفتنيه عن ذلك ذكر الحديث لولا الوجدانيات والأحاسيس التي طفحت بها روحه فأعطت هذا المد من الأحاديث النبوية الشريفة، وكل منها في معنى من المعاني الأخلاقية الرفيعة والتجربة الإنسانية الفريدة.

ج- ولو أننا عاودنا الكرة إلى الأهداف المعرفية مما خطه بلوم من نحو (التذكر) والمعني به القدرة على تذكر واسترجاع وتكرار المعلومات دون تغيير يذكر،

(١) الكبيسي، فجر: اشتقاق الأهداف السلوكية، ورشة عمل، مكتب معايير المناهج، هيئة التعليم: www.edu.gov.qa

(٢) المخطوطة المحققة، ص ١٠٢، ١٠٣.

(٣) المخطوطة المحققة، ص ١٨٢.

فالمخطوطة وسعت هذا التذکر واسترجاع المعلومات وتكرارها وبناء الشيء على ما سبقه، ومن نحو (الفهم) وهو القدرة على تفسير أو إعادة صياغة المعلومات التي حصلها الطالب، فالمخطوطة كذلك أعيد فيها الكثير من المعلومات القديمة بصياغة جديدة ولغة جديدة وكأنها لغة الطالب نفسه، ومن نحو التطبيق، وهو القدرة على استعمال وتطبيق المعلومات والنظريات والمبادئ والقوانين في موقف جديد، والمخطوطة كذلك إنما تعبر عن قدرة الشيخ على استعمال علوم البلاغة السابقة في موقفه التأليفي الحالي وهو المخطوطة، وقس على ذلك التحليل الذي يعني القدرة على تجزئة أو تحليل المعلومات والمعرفة المعقدة إلى أجزاءها، وكذلك التركيب وهو القدرة على جمع عناصر أو أجزاء؛ لتكون كلاً متكاملًا، وكذلك (التقويم) وهو القدرة على إصدار أحكام قيمة حول الأفكار والأعمال وهو مما كان يدأب عليه الشيخ في إكمال المعنى والإلمام به وحث الطالب على الفهم والمعرفة^(١).

على أن هذه المعلومات وإن كان مما يجب أن يتقنها الطالب نفسه فإن تطبيقها على مؤلف الشيخ ومخطوطته لا يضر أبداً؛ لأن أمثال هذه المعاني إذا كانت قائمة في نفس الشيخ وخلده فإن ذلك سينتقل بالضرورة إلى الطلاب وشدة العلم.

د- ومن ملامح التجديد الربط العضوي والاتصال والوثيق بين ما عليه الشيخ من سلوكيات إيمانية ومعتقدات توحيدية تدفع إلى العناية الشديدة بكتاب الله عز وجل وبين ما هو واقع في التأليف، وما كتبه إلى الطلبة إذ فيه مثل هذا التوجه إلى طرح الفكر الإيماني في العملية التعليمية، فلا شيء يعلو على كتاب الله، وإلى هذا الهدف ترى سعي الشيخ دائماً، ومثل هذا الربط بين العالم الداخلي للإنسان والحقائق العلمية التي يدلي بها هو مما يجعل المتلقي قابلاً لهذا العلم ومقبلاً عليه بكل جوارحه، وخفايا نفسه وفكره، انظر إلى الشيخ وقد هاله من الشاهد الشعري توالي ثلاث إضافات وهو قول الشاعر (الطويل):

حمامة جرعى حومة الجندل اسجعي فأنت بمرأى من سعاد ومسمع

يقول: (فجرعى مضاف إلى حمامة، وحومة مضاف إلى جرعى، والجندل

(١) اشتقاق الأهداف السلوكية، مرجع سابق.

مضاف إلى حومة، هذا راجع إلى الثقل والتنافر^(١)، لكنه من طريق آخر يحلي ذلك في ذهن السامع ويحمّله على الإذعان لكلام رب العالمين، وقد تتالت فيه الإضافات من غير ما بأس أو إخلال بالفصاحة، يقول: (وتتابع الإضافات غير مخل بالفصاحة لورود ذلك في القرآن العظيم، نحو قوله تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۗ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۗ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ۗ﴾ (الشمس: ٨-١٠). وبما يوافق مقام الحال في الألفاظ ومثيالاتها ومراعاة كل كلمة مع مجاوراتها التي ارتبطت بها استشهد بقوله تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۖ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ۖ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۖ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ۖ﴾ (الغاشية: ١٣-١٦) فإن مراعاة المرفوعة للسُرر والموضوعة للأكواب، والمصفوفة للنمارق، والمبثوثة للزرابي أمر يقتضيه الحال... إلى أن يقول منهيّاً شرحه وتعليقه: وبهذا المعنى الذي قررناه صار إعجاز القرآن في أعلى مراتب الفصاحة والبلاغة حتى أعجز جميع الخلق بأن يأتوا بمثل آية منه)^(٢) أفلا يدل هذا على جديد ومحاولة بث التجديد في مناحي هذا التأليف!؟

هـ- على أن هذا التنوع الذي رأيناه في الأساليب والاستشهادات مما يحسب للشيخ ويعد من ملامح تجديده كذلك، ولاسيما أنه لا يفرضه فرضاً، بل تراه ينتقل من أسلوب إلى أسلوب بشكل عفوي محض، فإذا لم يرق للسامع أسلوب الشعر ورأى فيه غضاضة فإن القرآن الكريم سيقع من نفسه موقع الإيمان والتسليم، إنه الكلام العربي المعجز إلى يوم يبعثون.

و- ومما جدد به أيضاً أنه في تأليفه عمد إلى الحوار والاستقراء مع ما يلزم من العرض، والحوار والاستقراء من أهم ما توجهت إليه التربية الحديثة في التعليم والتدريس المعاصر^(٣) يبين الشيخ مثلاً أن المجاز يصح وروده في القرآن؛ لأنه ليس بكذب باعتبار القرينة الدالة عليه، غير أنه يسلك لذلك سبيل الإقناع والاستقراء بالآيات القرآنية واحدة تلو أخرى: فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَلَّيْتُمْ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ

(١) المخطوطة المحققة، ص ٤٩.

(٢) المخطوطة المحققة، ص ٥١.

(٣) ينظر: طرائق تدريس اللغة العربية في ضوء التربية الحديثة، مرجع سابق، ص ٣٢٢، ٣٢٤.

زادتهم إيماناً ﴿ (الأنفال: ٢) أسند زيادة الإيمان إلى الآيات مجازاً والزائد هو الله لا غيره، والآيات سبب للزيادة وقوله تعالى: ﴿يَذَّبِحُ أَبْنَاءَهُمْ﴾ (القصص/٤) أسند إلى فرعون مجازاً، والتذبيح واقع من أعوانه، وإنما فرعون سبب أمر به^(١) وتتوالي الآيات ويتابع الشيخ الاستقراء والحوار ليصل بالقارئ إلى بر السلامة والإقناع.

ز- وما أوردناه يشتمل على ملمح تجديدي كبير، فالمؤلف وضع الطالب المتعلم في مشكلة، وطلب منه أن يبدأ في حلها أو أن يعطي الحلول اللازمة، ألم يذكر له قضية عدم ورود المجاز في القرآن؛ لأنه لا حقيقة له، وهذا مما يخل بالاعتقاد ويهزه ريثما يظهر المراد، ثم يأتي إلى الحل كما بينا تباعاً وفي آيات كثيرة محاولاً إقناع المتلقي بقوة أن القرينة الدالة على المجاز تعني وتفيد الصدق^(٢).

ح- ولا تستبعد أن ترى من خلال نصوص المخطوط المتوالية التوجه إلى (العصف الذهني) ونعني به طرح الأسئلة وإثارة فكر المتلقي وعقله ودفعه ليفكر في الجواب الصحيح اللازم إزاء القضايا المطروحة عبر هذا المؤلف.

ط- وأخيراً، ولأهمية الحوار في التعليم وكونه ملمحاً تجديدياً لا غبار عليه، لا في قديم العلم والتعلم، ولا في حديثهما نورد هذا المثال لما كان الشيخ يحاور به متخذاً من نفسه محاوراً يبيث أسئلته للطالب ويحمله على التفكير مما مر أنفاً، ثم يأتي بالجواب الناصع المفيد: (تنبيه: تذكر من أدوات الشرط (إن) و(إذا) و(لو)...) فأما إن فهي حرف دال على الاستقبال من الزمان ومعناه يقتضي الشك، والمراد بالشك الظن من المتكلم، والتوهم بوقوع جزائه، وعدم الجزم بوقوعه، فإن قلت ما تقول في قول المتكلم الموصي: إن مت فافعلوا كذا، مع أن الموت مجزوم بوقوعه عند التكلم، قلت: لما كان وقوع الموت غير معلوم وقت وقوعه عومل معاملة المشكوك فيه، فإن قلت: فإن الشرطية في كلام الله عز وجل ماهي؟ قلت: لا تقع إن من الله جل وعلا في الأصل على معناها، بل إن جاءت من الله إما على الحكاية أو ردها جل وعلا، وإما على معنى مؤول بما يليق بالمقام^(٣).

(١) المخطوطة المحققة، ص ٦٨.

(٢) تنظر المخطوطة المحققة، ص ٦٧، ٦٨.

(٣) المخطوطة المحققة، ص ١٠٩.

الخاتمة:

بقي بعد هذه الجولة في المنهج التعليمي وملامح التجديد في مخطوطة "تقريب الأذهان إلى علمي المعاني والبيان" أن ننهاها بشيء من النتائج والتوصيات لما تمخض عنه البحث في معطياتها المتنوعة على النحو الآتي:

- حافظت المخطوطة على توازنها في كل أقسامها على الرغم من كثافة المادة العلمية، فلا يرى الباحث فيها إطناباً مملأً، ولا إيجازاً مخللاً.
- مما ميز المخطوطة تدرجها العلمي من السهل إلى الصعب، ومن الكل إلى الجزء، ومن الجزء إلى الكل، وكل ذلك مع التطبيقات اللازمة للمادة النظرية المطروحة.
- حققت المخطوطة سهولة توصيل المعلومة، ومهارة التواصل مع الآخرين بسبب اللغة التي اعتمدها المؤلف، فلا تقعر ولا تكلف، وإنما الألفاظ والتراكيب في خدمة الشروح وتوضيحها.
- حققت المخطوطة أيضاً المنهجية التكاملية بربطها بين المادة النظرية والتطبيقية وتنوع أساليب الاستشهاد من قرآن كريم وحديث نبوي شريف وأشعار وأرجاز.
- لم يصرح المؤلف بالتجديد، ولكنه سار عليه بتحقيقه للأهداف التعليمية السلوكية في المجال المعرفي والوجداني والمهاري، على ما هي عليه معطيات التعليم عند بلوم وزملائه.
- من وسائل تحقيق الشيخ للجوانب المهارة إثارته الحوارات في كل مبحث من مباحثه مع ما رافق ذلك من تنبيهات.
- يعد هذا التأليف صيغة متقدمة لكل باحث يحاول المزج المعرفي والوجداني، وذلك من خلال التوجهات البلاغية القرآنية التي أثارها المؤلف بفيض من وجدانياته ونبض إيمانه وتوحيده.

التوصيات:

- أن تخصص أقسام منه بالدراسة في الكليات والمعاهد الشرعية، وأن يقتبس منه بعض المؤلفين للكتب المدرسية موضوعات وتطبيقات مناسبة.
- أن يستفيد منه أرباب الوجدانيات الدينية بما اشتمل عليه من تفسيرات للشواهد البلاغية تعزز المعاني القرآنية إلى حد بعيد.

قائمة المصادر والمراجع:

- (١) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.
- (٢) الترمذي، محمد بن عيسى: سننه، تحقيق وتعليق أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض، ط٢، طبع مصر، البابي الحلبي، ١٣٩٥هـ.
- (٣) الجبوري، يحيى وهيب: منهج البحث وتحقيق النصوص، ط٢، دار الغرب الإسلامي، تونس، ٢٠٠٨م.
- (٤) الخليلي، سعيد بن خلفان بن أحمد: سمط الجوهر الرفيع في علم البديع، تح: محمد بن يحيى بن سفيان الراشدي، ط١، ذاكرة عُمان، مسقط، ٢٠١٥م.
- (٥) درويش، أحمد: مدخل إلى دراسة الأدب في عُمان، دار الأسرة للطباعة والنشر، مصر، ١٩٩٢م.
- (٦) الدينوري، عبد الله بن مسلم بن قتيبة: الشعر والشعراء، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣هـ.
- (٧) الذهلي، حمد بن سالم: الجهود النحوية في عُمان، ط١، مؤسسة الانتشار العربي، ٢٠٠٩م.

- (٨) السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي: مفتاح العلوم، ضبطه وكتبه هوامشه نعيم زرزور، ط٢، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٧٠هـ-١٩٨٧م.
- (٩) الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب: المعجم الصغير، تحقيق محمد شكور محمود، ط١، المكتب الإسلامي، دار عمار، بيروت ١٤٠٥هـ.
- (١٠) العجاج، ديوانه، تحقيق الدكتور عبد الحفيظ السطلي، مكتبة أطلس، دمشق، ١٩٧١م.
- (١١) الفارسي، الشيخ منصور: تقريب الأذهان إلى علمي المعاني والبيان، تح: حميد بن علي بن خلفان الشهومي، ٢٠١٥م، جامعة نزوى، د.ن.
- (١٢) القزويني، الخطيب جلال الدين أبو عبدالله محمد بن قاضي القضاة: الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبديع، مختصر تلخيص المفتاح، دار الجيل، بيروت.
- (١٣) الكبيسي، فجر: اشتقاق الأهداف السلوكية، ورشة عمل، مكتب معايير المناهج، هيئة التعليم: www.edu.gov.qa
- (١٤) مصاروة، نادر: طرائق تدريس اللغة العربية في ضوء التربية الحديثة، مجلة جامعة إلكترونية، أكاديمية القاسمي، فلسطين، العدد ٧.